﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النّساء: 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن ذكر الله ﷻ في الآيات السَّابقة فضْلَ الطَّاعة وجزاءها؛ وهَبَ لهم في هذه الآية الكريمة جزاءً آخرَ، هو كرمُ الصُّحبة في الدُّنيا والآخرة، فهم إذ يسيرون في الصِّراط المستقيم الموصل إلى الله؛ يكونون في قافلة الأطهار، وما أحسنها رفقة طاهرة كريمة طيِّبة![1]، فالآية تَكرارٌ للأمر بطاعة الله وطاعة الرَّسول بعد أن بدأها بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النّساء: 59]، ثمَّ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النّساء: 64] مزيِّفًا - فيما بينهما - طريقةَ الَّذين تحاكموا إلى الطَّاغوت، وصدُّوا عنِ الرَّسول، ورغَّب بعدها في تلك الطَّاعة بالوعدِ بالتَّثبيت، والأجر العظيم، والهداية إلى الطَّريق المستقيم، وتكرار الأمر تأكيدٌ له، وحثٌّ عليه بمرافقة الَّذين أنعم الله عليهم من النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾: الصَّادُ والدَّالُ والقافُ: أَصلٌ يدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيء قولًا وغيرَه، مِن ذلك الصِّدق: خلافُ الكذب، سُمِّيَ لِقوَّته في نفسه؛ ولأَنَّ الكذبَ لا قوَّةَ له، فهو باطلٌ، وأَصلُ هذا مِن قَولِهم: شيءٌ صَدْقٌ، أَي: صُلْبٌ، والصِّدِّيق: المُلازِمُ للصِّدق[3]، ومَن يُصَدِّقُ بكلِّ أمرٍ لله والنَّبيِّ ﷺ لا يتخالجُه شكٌّ في شيء[4]، والدَّائم التَّصديق الَّذي يُصَدِّقُ قولَه بالعمل[5]، ويُقالُ لِمَن يكثر منه الصِّدق، ولا يكذب قطُّ، أو لِمَن لا يتأتَّى منه الكذب لتعوُّده

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1750.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/132 - 133.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صدق).
(4) الخليل، العين: (صدق).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (صدق).

الصِّدق، أو لِمَن صدَق بقولِه واعتقادِه، وحقَّقَ صدقه بفعله، فالصِّدِّيقون هم قوم دون الأنبياء في الفضيلة[1]، ومصداقًا لذلك صيغ اللَّفظُ على هيئة المبالغة؛ ليدلَّ على عُمق الإيمان وقوَّته، فهم ذو إيمان صُلب لا تُلينه الفتن والشَّدائد[2]، وحقيقٌ بأن يكونوا من أتباع الأنبياء، وأَصحاب رسول الله ﷺ[3].

2) ﴿ٱلشُّهَدَآءِ﴾: الشِّينُ والهاءُ والدَّالُ: أَصلٌ يدلُّ على حضورٍ وعلمٍ وإعلامٍ، لا يَخرُجُ شيءٌ مِن فروعه عن هذا الأصل[4]، والشَّهيد: المقتول مجاهدًا في سبيل اللَّه تعالى. وسُمِّيَ شهيدًا لقيامه بشهادة الحقِّ حتَّى قُتل في سبيل الله، أو لأنَّه يشهدُ كرامةَ الله تعالى له في الآخرة[5]، أو لأَنَّ روحه تشهد الجنَّة عَقِيب القَتل[6]، أو لحضور الملائكة إيَّاه شاهدة له بالجنَّة، أو لأنَّ روحه تشهد عند الله، أو لأنَّه حيٌّ عند ربِّه، كأنَّه شاهدٌ حاضرٌ[7].

3) ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الصَّادُ واللَّامُ والحاءُ: أَصلٌ واحدٌ يدلُّ على خلاف الفساد[8]، فالصّلاحُ: نقيض الطَّلاح[9]، وأصلح الشَّيء بعد فساد: أَقامه، والصَّالحون جمع: صالح، وهو: الَّذي يؤدِّي إلى الله ﷻ ما افتُرض عليه، ويؤدِّي إلى النَّاس حقوقَهم[10]، وكلُّ من صلح عمله، أو كلُّ مَن صلُحَت سريرته وعلانيته[11]، وبه تُفسَّر اللَّفظة في الآية الكريمة.

4) ﴿رَفِيقًا﴾: الرَّاءُ والفاءُ والقافُ: أَصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُوافقةٍ ومُقاربةٍ بلا عُنفٍ، فالرِّفقُ: خلافُ العُنفِ، واللُّطفُ وحُسن الصَّنيع[12]، ولين الجانب ولطافة الفعل، هذا هو الأَصلُ، ثمَّ يُشتقُّ منه كلُّ شيءٍ يدعو إلى راحةٍ وموافقةٍ[13]، وقد ترفَّق عليه، وارتفق:

(1) الرّاغب، المفردات: (صدق).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صدق).
(3) الماورديّ، النُّكت والعيون: 1/504، والسَّمعانيّ، تفسير القرآن: 1/446.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شهد) بفتح الهاء وكسرها.
(5) الماورديّ، النُّكت والعيون: 1/504 - 505.
(6) السَّمعانّي، تفسير القرآن: 1/446.
(7) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شهد).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلح).
(9) الخليل، العين: (صلح).
(10) ابن سيده، المحكم: (صلح).
(11) الماورديّ، النُّكت والعيون: 1/505.
(12) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (رفق).
(13) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رفق).

توكَّأ[1]، واشتقاقه مِنَ الباب للموافقة، ولأنَّهم إذا تماشَوا، تَحاذَوا بمرافقهم[2]، أو لأنَّ كلَّ واحد أصبح متَّكأً للآخر، ورفيقُكَ: الَّذي تجمعه وإيَّاك رُفقةٌ واحدة، في سفر يُرافقكَ، وقد تَرافَقوا وارتفَقوا فهم رفقاء، الواحد رفيق، والصَّاحب قريبٌ يؤنسُ، ويعينُ، ويجعل الحياة طيِّبة، وهذا كلُّه نفعٌ، وتيسير[3]، وقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾، أي: رُفقاء في الجنَّة[4].

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

من عظيم العطاء مصاحبة خير الرُّفقاء

ومَن يستجب لأوامر الله بأداء الفرائض، واجتناب النَّواهي، ويتَّبِعْ هديَ رسوله محمد ﷺ في السُّنن الّتي سنَّها؛ فأولئك الَّذين عَظُم شأنهم وقدرهم بالهداية والتَّوفيق في الدُّنيا، وكانوا في صحبة مَن أنعم الله تعالى عليهم بالجنَّة مِنَ النَّبيِّين، والصِّدِّيقين الَّذين كمُل تصديقهم بما جاءت به الرُّسلُ، اعتقادًا وقولًا وعملًا، والشُّهداءِ في سبيل الله، والصَّالحين من المؤمنين، وحَسُنَ هؤلاء رفقاء في الجنة[5]، وألمح القرطبيُّ إلى أنَّ هذه الآية الكريمة هي مصداقُ قوله ﷺ: "خير الرُّفقاء أربعة"؛ لهذا لم يذكر الله تعالى هنا إلَّا أربعة[6].

ونقلتْ أُمُّنا عائشةُ رضي الله عنها سببَ نزولها بقولها: "جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنَّك لأحبُّ إليَّ من نفسي وأهلي وولدي، وإنِّي لأكون في البيت، فأذكُرك، فما أصبر حتَّى آتيك، فأنظر إليك،

(1) ابن سيده، المحكم: (رفق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رفق).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (رفق).
(4) الخليل، العين: (رفق).
(5) الخازن، لباب التَّأويل: 1/397، ونخبة من العلماء، التفسير الميسَّر، ص: 89.
(6) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 5/272، والحديث أخرجه ابن ماجه، في سننه، الحديث رقم: (2827) واللفظ له، والطبراني، المعجم الأوسط: 7/14، والقُضاعي، مسند الشهاب: 2/224، باختلاف يسير، وصحَّح إسناده الألبانيّ، صحيح الجامع، الحديث رقم: (7850).

وإذا ذكرتُ موتي وموتك؛ عرفتُ أنَّك إذا دخلتَ الجنَّة رُفعْتَ مع النَّبيِّين، وإنِّي إذا دخلتُ الجنَّة خشيتُ ألَّا أراك، فلم يرُدَّ رسول الله ﷺ شيئًا حتَّى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية"[1].

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى: أحقِّيَّة خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وذلك أنَّ الله تعالى لمَّا ذكر مراتب أوليائه في كتابه بدأ بالأعلى منهم، وهم النَّبيُّون، ثم ثنَّى بالصِّدِّيقين، ولم يجعل بينهما واسطة، وأجمع المسلمون على تسمية أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه صدِّيقًا، كما أجمعوا على تسمية محمَّد ﷺ رسولًا[2].. وتهدي أيضًا إلى: الحثِّ على الطَّاعة والتَّرغيب فيها، فإنَّ خصوصَ السَّبب لا يَقدَحُ في عُموم اللَّفظ، فالآية عامَّة في حقِّ جميع المكلَّفين[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بيان الوصل بالاستئناف في المَطلَع:

قال العماديُّ: "كلامٌ مستأنفٌ فيه فضلُ ترغيبٍ في الطَّاعة، ومزيدُ تشويقٍ إليها ببيان أنَّ نتيجتَها أقصى ما ينتهي إليه هممُ الأمم، وأرفعُ ما يمتدُّ إليه أعناقُ عزائمِهم من مجاورة أعظمِ الخلائقِ مقدارًا، وأرفعِهم منارًا، متضمِّنٌ لتفسير ما أُبهم في جواب الشَّرطيَّة السَّابقة، وتفصيل ما أجمل فيه"[4].

في الاستئناف البيانيِّ فضلُ ترغيبٍ في طاعة الله، ومزيدُ تشويقٍ إليها

ويجوز أن تكون هذه الآية تذييلًا لجملة: ﴿وَإِذًا لَّآتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾، وإنَّما عُطِفَت باعتبار إلحاقها بجملة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ على جملة: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾[5].

وتذييل لجملة إيتاء الأجر

(1) أسباب النُّزول، ص: 111، وقال الحافظ ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب: 2/914: "رجاله موثقون"، ينظر:لوادعيّ، الصّحيح المسند من أسباب النُّزول، ص: 79 - 80.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/134 - 135، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 5/273.
(3) ابن عادل، اللّباب: 6/476.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/198.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/116.

بلاغة صيغة التَّعبير عنِ الطَّاعة:

التَّعبير بالمضارع أمـارةُ ديمومةِ فعل الطَّاعات وتجدُّدِها

عبَّر عنِ الاستجابةِ لطاعة اللهِ ورسولِه ﷺ بصيغة المضارع: ﴿وَمَن يُطِعِ﴾؛ لتقرير معنى ديمومة الطَّاعات، واستمرارها وتجدُّدها كلَّ حين، وذلكم خُلُقُ الطَّائعِ الحقّ وصفتُه.

صـوغ الطَّاعة على هيئة الجزم إلماحٌ بحتميَّة التَّنفيذ، وعدم العصيان

وفي مجيء لفظ الطَّاعة بصيغة الجزم ﴿يُطِعِ﴾ فعلًا للشَّرط إلماحٌ بحتميَّة الخضوع، والتَّنفيذ، وعدم العصيان، وقطعيَّة الإذعان للأوامر والنَّواهي؛ ذلك أنَّ المُرادَ بالطَّاعة الانقيادُ التَّامُّ والامتثال الكامل لجميع الأوامر والنَّواهي[1]، فهي أمارةُ الاتِّصاف بتمام معناها، أي: ألَّا يَعصي اللهَ ورسولَه[2].

علَّة تكرار فعل الطَّاعة:

الطَّاعة أساسُ حُسن المثوبة، وتـكـرارهـا تحريضٌ عليها، ودعوةٌ إليها

أورد تعالى ذكر الطَّاعة فيما مضى من آيات تصريحًا: في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النِّساء: 64] ومعنًى: في قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ [النِّساء: 65]، وكرَّر ذكر الطَّاعة ههنا، فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾؛ "لأنَّ هذه الطَّاعة هي الأساس في هذه الأجزية المجزية، الرَّافعة السَّامية الهادية، وفي تكرارها تحريضٌ عليها، ودعوةٌ إليها"[3].

سرُّ نسبة الطَّاعة مقرونةً باسمه تعالى، واسم رسوله:

إظـهـار اسـمـه الـكـريـم مظنَّة عناية بالطَّاعة، وإتْباعُها بذكر الرَّسول تشريفٌ له

إظهارُ اسمه تعالى في مورد ذكر الطَّاعة مظنَّة عناية، واهتمام بها بوصفها موئلًا للقربات، وطريقًا للنَّجاة، وسبيلًا لتحصُّل المكرمات، وإتباعها بذكر الرَّسول معرَّفًا بأل العهديَّة الدَّالَّة على النَّبيِّ محمَّد ﷺ تشريفٌ له، وتكريمٌ، وإعلاءٌ لمكانته بتوحيد طاعة

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/198.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/116.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1750.

اللّه تعالى وطاعته، وتجريدِ اتِّباعه، والاهتداءِ بهديهِ، فطاعتُه من طاعةِ اللّه سبحانه.

جمال التَّعبير باسم الإشارة:

قوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى المطيعين، والجمعُ باعتبار معنى ﴿وَمَن يُطِعِ﴾، كما أنَّ الإفرادَ في فعل الشَّرطِ باعتبار لفظِها، وما فيه من معنى البُعد مع القُرب في الذِّكر؛ للإيذان بعلوِّ درجتِهم، وبُعد منزلتِهم في الشَّرف[1]، فصيغة البُعْد مع ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ للتَّفخيم والتَّعظيم[2].

الإشارة للبعيد فيها التَّفخيم والتَّعظيم بعلوّ درجتهم ورفعة منزلتهم في الشَّرف

جيء باسم الإشارة في جملة جواب الشَّرط؛ للتَّنبيه على استحقاقهم، وجدارتهم بمضمون الخبر عنِ اسم الإشارة لأجل مضمون الاتِّصافِ بتَمامِ مَعْنى الطَّاعَةِ الَّذي قبل اسم الإشارة[3].

اسم الإشارة فيه التَّنبيه على جدارتهم بمضمون الخبر

توجيه معنى المعيَّة:

كون المطيعين مع الأصناف الكريمة الأربعة، أنَّهم في دار واحدة، ومُتنعَّم واحدٍ، وكلٌّ من فيها قد رُزِق الرِّضا بحاله، وذهب عنه أنْ يعتقد أنَّه مفضولٌ، وإنْ كان أهلُ الجنَّة تختلف مراتبهم على قدر أعمالهم، وعلى قدر فضل اللّه على من شاء[4]، فالمعيَّةُ المذكورة هي معيَّة المنزلة في الجنَّة، وإن كانتِ الدَّرجات متفاوتة، فليس المرادُ بالمَعِيَّةِ التّساوي في الدَّرَجةِ والمنَزلةِ؛ فدلَّت ﴿مَعَ﴾ على أنَّ مكانةَ مدخولِها أرسخُ وأعرفُ، وفي الحديث "أنت مع من أحببت"[5].

الدار واحدة، والمُتنعَّم واحد، وتفاوت الدَّرجات ومدخول المعيَّةِ أرسخُ وأعرف

وتحتملُ المعيَّة هنا كونهم يُرفعون إلى منازل من فوقهم من الأنبياء والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين متى شاؤوا تكرُمةً لهم،

رفعُ المُطيعين إلى منازل الأعلى مرتبة، والعكس

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/198.
(2) القونويُّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 7/218.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/116.
(4) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 2/76.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/116، والحديث الشريف أخرجه البخاري، الحديث رقم: (6167)، ومسلم، الحديث رقم: (2639).

ثمَّ يعودون إلى منازلهم، أو: أنَّ الأعلى منزلةً ينزلون إلى من دونهم منزلةً ليتذاكروا نعمةَ الله عليهم[1]، فليس المُرادُ كون الكلِّ في درجة واحدة؛ لأنَّ هذا يقتضي التَّسويةَ في الدَّرجة بين الفاضل والمفضول، بل المُراد كونهم في الجنَّة بحيث يتمكَّن كلُّ واحد منهم من رؤية الآخر، وإن بَعُد المكانُ؛ لأنَّ الحجاب إذا زال؛ شاهد بعضهم بعضًا، وإذا أرادوا الزِّيارة والتَّلاقي؛ قَدَروا عليه[2].

بلاغة حذف المُنعَمِ به:

الإشعارُ بقصور العبارة عن تفصيل المُنعَمِ به وبيانه

عند قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ تَرْكُ ذكرِ المُنعَم به، والاكتفاءُ بذكر المُنعَم عليهم؛ للإشعار بقصور العبارة عن تفصيله، وبيانه[3]، فعطاء الله وثوابُه لايوفِّيه وصفٌ، ولا يُحيطه كمٌّ.

الإنعامُ بحذف المُنعَمِ به دلَّ على عميم نِعمِ الله، وخيراته دنيا وأخرى

أطلقَ تعالى الإنعامَ بحذف المُنعَم به؛ ليشمل كلَّ إنعام؛ لأنَّ مَن أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبقَ نعمةٌ إلَّا أصابته، واشتملت عليه، ولا خيرٌ إلا أحاط به[4].

براعةُ إظهار فاعل النِّعمة:

إكرامُ المُنعَم عليه، والإشادةُ به، ورفع قدره

إنّ ذِكرَ فاعل النِّعمة في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾، وإضافتها إليه تعالى مُصرَّحًا باسمه الكريم؛ فيه إكرامُ المُنعَم عليه، والإشادةُ بذكره، ورفعُ قدره ممَّا ليس في حذفه، فإذا رأيت مَن قد أكرمه مَلِكٌ وشرَّفه، ورفعَ قدره، فقلت: هذا الَّذي أكرمه السُّلطان، وخَلَعَ عليه، وأعطاه ما تمنَّاه، كان أبلغَ في الثَّناء والتَّعظيم من قولك: هذا الَّذي أُكرم، وخُلِع عليه، وشُرِّف، وأُعطِي،

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/299.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/133.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/198.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 1/136.

فأضاف سبحانه إلى نفسه أكملَ الأمرين، وأسبقَهما، وأقواهما، وهذه طريقة القرآن في إسناد الخيرات والنِّعم إليه[1].

إضافةُ الإنعام إلى الله تعالى تفضُّلٌ منه، وتمنُّنٌ

وفي إضافة النِّعمة إليه باسمه تعالى دليلٌ على أنَّ الهداية إلى الطَّاعة محضُ نعمة، وتفضُّلٌ منه تعالى[2]، وإن سُعيَ له، وكُدَّ في استحصال أسبابه، وفي ذلك ترغيبٌ يبعث النُّفوس على الاجتهاد، وبذلِ الوِسع دون الاعتماد.

علَّة ذِكر الرَّسول ﷺ دون الأنبياء عليهم السلام:

تحقُّقُ أنَّ طاعتَه ﷺ متضمِّنةٌ لطاعتهم

في قوله: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيانٌ للمُنعَم عليهم، ويندرج تحته سائرُ الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام مع أنَّ الكلامَ في بيان حكم طاعة نبيِّنا ﷺ لتحقُّقِ أنَّ طاعته ﷺ متضمِّنةٌ لطاعتهم؛ لاشتمالِ شريعتِه الَّتي لا تتغيَّرُ بتغيُّر الأعصار على شرائعهم[3].

بلاغة لفظ الصِّدِّيق:

الصِّدِّيق المُبَالِغُ في الصِّدق، ومَن عادَتُه الصِّدق

(الصِّدِّيق) صيغةُ مبالغة على وزنِ (فِعِّيل) مِنَ الصِّدْق، وقِيل: مِنَ الصَّدَقَة[4]. والصِّدِّيق المبالِغُ في الصِّدق[5]، حتَّى أضْحتْ عادتُه الصِّدق، ومن غلب على عادتِه فعلٌ، ووصِفَ بذلك الفعل، قِيل فيه: (فِعِّيلٌ) مبالغةً؛ ولذلك قِيل هذا الوصفُ في كلِّ مَن صدَّق بكلِّ الدِّين، لا يتخالجه فيه شكٌّ[6].

سرُّ توحيد التَّمييز(الرَّفيق):

التَّمييز المُفردُ دلالة على قوَّة الرُّفقة، وشدَّة القُرب

وحَّد (الرَّفيق) وهو صفة لجمعٍ؛ لأنَّ الواحد في التَّمييز ينوب عنِ الجماعة[7]؛ ولأنَّ الرَّفيق والرَّسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى

(1) ابن القيّم، تفسير القرآن الكريم، ص: 16.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/38.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/198 - 199.
(4) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 2/76.
(5) السَّمعانّي، تفسير القرآن: 1/446.
(6) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/133.
(7) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 2/78.

الجمع قال تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الشّعراء: 16]، فبيَّن تعالى أنَّ الأنبياء والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين يكونون له كالرُّفقاء من شدَّة محبَّتهم له، وسرورهم برؤيته، والمعنى: حسُن كلُّ واحد منهم رفيقًا[1]؛ لأنَّ الرَّفيق هو الصَّاحب الَّذي يلازمك في عمل أو سفر، وسمِّي رفيقًا؛ لأنَّك ترتفق به وتستعين، ويعاون كلٌّ منكما صاحبه، ويأنس به في العمل، والسَّفرِ، والملازمة بشكل عامٍّ[2].

توحيد التَّمييز دلالة على أنَّ جميع الرُّفقاء بمعنى رفيق واحد

يحتمل المعنى: أنَّ جميع المذكورين في ذلكم المشهد كلٌّ واحدٌ، بمعنى: هم بمنزلةِ رفيقٍ واحد؛ دلالةً على قوَّة الرُّفقة، وشدَّة القُرب، "وإنَّما أفرد؛ لأنَّ الحُسنَ في ذات الرُّفقة، ولأنَّ المصاحبة إفراديَّة، فكلُّ واحد يصاحب الآحاد والجميع، فهم جميعًا في معنى رفيق واحد، لتشاكُلِ النُّفوس وتوافقها"[3].

نكتةُ العدول مِنَ الصَّاحب إلى الرَّفيق:

ملمحُ اللِّين واللَّطافة يناسب اجتماع الممدوحين الأربعة في لفظ الرَّفيق

الرَّفيق: الصَّاحب، وسمِّي الصَّاحب رفيقًا للارتفاقِ به وبصحبته، ويُقالُ للجماعة في السَّفر: رُفْقَةٌ؛ لارتفاق بعضهم ببعض[4]، فالرِّفقُ: اللُّطْفُ واللِّينُ، وهو ضِدُّ العُنْفِ والشِّدّة، ويأْتي بِمعنى: اليُسْرِ والسُّهُولَةِ، وأصْلُه: النَّفْعُ[5]، ومعناه: اللُّطفُ والْمُبَالغَة في الْبرِّ على أحسن وجوهه، وَكَذَلِكَ الرِّفْق في كلِّ أَمر أَخذه بِأَحْسَن وجوهه وأقربها، والمداراةُ مع الآخرين، ولِينُ الجانب، وصاحبه يسمَّى رفيقًا، وملمحُ اللِّين واللَّطافة يناسب الممدوحين الأربعة واجتماعهم، ويناسب جوَّ الآيات البادي فيها ملمح اللِّين والسُّهولة واليُسر المتمثِّل بألفاظ الإيتاء، والهداية.

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/136.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1753.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1753.
(4) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 2/78، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/136.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، عياض، مشارق الأنوار: (رفق).

وجهُ ترتيب منازل الممدوحين:

رُتِّبت منازلُ الممدوحين بحسب شرفهم، ومكانتهم منَ الأعلى إلى الأدنى

الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حدَّ الكمال إلى درجة التَّكميل[1]، لا بُدَّ هم المقدَّمون، ثمّ إنَّ الشَّهيد قد يكون صدِّيقًا، وقد لا يكون، ومعنى الصِّدِّيق الَّذي كان أسبقَ إيمانًا من غيره، وكان إيمانه قدوةً لغيره، فثبتَ أنَّ كلَّ مَن كان صدِّيقًا كان شهيدًا، وليس كلُّ مَن كان شهيدًا كان صدِّيقًا، ثمَّ إنَّ كلَّ مَن كان شهيدًا كان صالحًا، وليس كلُّ مَن كان صالحًا كان شهيدًا، فالشَّهيدُ أشرف أنواع الصَّلاح، فثبت أنَّ أفضل الخلق هم الأنبياء ﷺ، وبعدهم الصِّدِّيقون، وبعدهم مَن ليس له درجة إلَّا محض درجة الشَّهادة، وبعدهم مَن ليس له إلَّا محض درجة الصَّلاح[2]، فجاء ترتيبُ المُنعَم عليهم - على هذا القول - على حسب التَّنزُّل منَ الأعلى إلى الأدنى. وفي هذا ترغيبٌ للمؤمنين في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، حيث وعدوا بمرافقة أقرب عباد الله إلى الله، وأرفعهم درجات عنده، وأعلاهم منزلة[3].

براعة التَّرقِّي في العطايا:

مناطُ التَّرقِّي في العطايا التَّرقِّي في المنازل

وعدَ تعالى في الآيتين المتقدِّمتين أهلَ الطَّاعة بالأجر العظيم، والثَّواب الجزيل، والهداية إلى الصِّراط المستقيم، ثمَّ ذكر في هذه الآية وعدهم بكونهم مع الَّذين أنعم الله عليهم منَ النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وهذا الَّذي وقع به في الختم لا بدَّ أن يكون أشرف وأعلى ممَّا قبله[4]، ومناطُ التَّرقِّي في العطايا بحسب التَّرقِّي في المنازل وفاق خيرات الأعمال، وتعدُّد الطَّاعات، وصدق النِّيَّات، وفي هذا ترغيب للمؤمنين في الطَّاعة، والاستزادة منها ليترقُّوا في الدَّرجات، وينالوا نصيبًا منَ القربات.

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/82.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/135.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/300.
(4) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/133.

بلاغة جملة التَّذييل:

التَّذييل تقريرٌ لمَا قبلَه، مؤكِّدٌ للتَّرغيب والتَّشويق

تُعَدُّ الآيةُ الكرية جملةَ تذييلٍ مقرِّرٍ لمَا قبلَه؛ لتأكيدِ التَّرغيب والتَّشويق[1] في العمل الصَّالح الَّذي يوصل المسلم إلى صحبة هؤلاء الكرام[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرُّفقة، والصُّحبة، والصَّداقة:

الرُّفقة شدَّة الملازمة، وعدم ذهاب المسمَّى مع لين، ولطافة الفعل

الصَّاحب الملازم، ولا يُقال في العُرف إلَّا لمن كثُرت ملازمتُه[3]، والصَّداقة: صدق الاعتقاد في المودَّة[4]، أمَّا الرُّفقة والرَّفيقُ؛ فهو الَّذي تجمعه وإيَّاك رُفقةٌ واحدة، في سفر يُرافقكَ، وَلِأَنَّهُمْ إِذَا تَمَاشَوْا؛ تَحَاذَوْا بِمَرَافِقِهِمْ، فإذا تفرَّقوا؛ ذهب عنهم اسم الرُّفقة، ولا يذهب اسم الرَّفيق، وتُسمَّى الرِّفقة ما داموا منضمِّين في مَجلس واحد ومسير واحد، وقد تَرافَقُوا وارتفَقُوا فهم رُفقاء، الواحد رفيق، وصاحبٌ رفيقٌ: ليِّن الجانب لطيف الفعل مِنَ الرِّفق[5]، فاختيار الرَّفيق أنسب لسياق الآية الكريمة لشدَّة الملازمة، والمُوَافَقَة وَالمُقَارَبَة، وعدم ذهاب المسمَّى، وإن حصل تفرُّقٌ، فضلًا عن صفتي اللِّين، ولطافة الفعل الَّتي تناسب المصطفَيْنَ الأخيار.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/199.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 3/210.
(3) الرّاغب، المفردات: (صحب).
(4) الرّاغب، المفردات: (صدق).
(5) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (رفق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»